المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل: العلوم الإنسانية والإدارية
Scientific Journal of King Faisal University: Humanities and Management Sciences

التصريف والاشتقاق في ضوء تطور مفهوم الصرف في اللسانيات: قراءة لسانية جديدة

إبراهيم سليمان اللاحم
قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلّيّة اللغات والعلوم الإنسانيّة، جامعة القصيم، بريدة، المملكة العربيّة السعوديّة

Morphology and Derivation in Perspective of the Development of the Concept's Conjugation in Linguistics: A New Linguistic Reading

Ibrahim Suleiman Al-Lahim
Department of Arabic Language and Literature, College of Languages and Humanities, Qassim University, Buraidah, Saudi Arabia

LINK الرابط	RECEIVED الاستقبال	ACCEPTED القبول	PUBLISHED ONLINE النشر الإلكتروني	ASSIGNED TO AN ISSUE الإحالة لعدد
https://doi.org/10.37575/h/lng/240023	26/02/2024	26/03/2024	26/03/2024	01/09/2024

NO. OF WORDS عدد الكلمات	NO. OF PAGES عدد الصفحات	YEAR سنة العدد	VOLUME رقم المجلد	ISSUE رقم العدد
7174	7	2024	25	2

الملخص

تتعدّد دلالة مصطلحيْ التصريف والاشتقاق، ويتداخل استعمالهما أحيانا؛ لعدم وجود حدّ مانع جامع لهما. يهدف هذا البحث إلى صياغة تمييز يضبط الحدود بين المصطلحين منهجيًا، ويدفع التداخل بينهما في الممارسة العمليّة؛ من خلال تناول دلالة مصطلحيْ التصريف والاشتقاق، وتتبّع تطور مفهوم الصرف في اللسانيات وكيفيّة انعكاسه على قراءة مفهوم التصريف والاشتقاق في التراث، ثم إعادة ضبط المصطلحين التراثيّين، وتدقيق تأويل دلالاتهما المتداخلة. ينطلق البحث من التميز المنهجيّ القائم في التفكير اللسانيّ، ويستثمر بعض التميزات المنطقيّة ورياضيات المجموعات، مثل التمييز بين الأصناف والأفراد والمجموعات وأفرادها والمقولة وعناصرها. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، ويتكوّن من ثلاثة محاور: يدرس أوّلها تطوّر مفهوم الصرف في علم اللسانيات، ويدرس ثانيها دلالة التصريف والاشتقاق في التراث النحويّ والعلاقة بينهما، وتداخلهما ومحاولات بعض النحويّين التمييز بينهما. وأمّا المحور الثالث فيخصّص لتطبيق المفاهيم المنطقيّة الرياضيّة للتمييز بين المصطلحين، وإعادة تبويب أقسام الصرف العربيّ. ومن أبرز نتائجه اعتماد تمييز جديد لمصطلحي التصريف والاشتقاق، وقصر أقسام الصرف عليهما، وأهمّيّة تطبيق مفهوم المقولة في اللسانيات في صياغة تمييز منهجي بين المصطلحيْن وإعادة تبويب أقسام الصرف العربي. وتوصي الدراسة بإجراء دراسات معمّقة حول مفهوم المقولة في اللسانيات العربية، واستثماره في تحليل الظواهر اللغوية الأخرى، والإفادة من ذلك في المناهج الدراسية لتعليم اللغة العربية، ودمج مفهوم المقولة في تدريس التصريف والاشتقاق.

Abstract

The study addresses the ambiguity between the terms "morphology" and "derivation" in linguistic discourse. It aims to establish a methodological distinction to delineate their boundaries by examining their meanings, tracing the morphological concept's evolution, and redefining these terms. Employing logical and mathematical distinctions, the research investigates linguistic categories and their elements. Through a descriptive analytical approach, it delves into three axes: the development of morphological concepts, the interpretation of morphology and derivation in grammatical heritage, and the application of logical concepts to distinguish the terms. Among the most prominent results are the adoption of a new distinction between the terms morphology and derivation, the restriction of the divisions of morphology to them, and the importance of applying the concept of category in linguistics in formulating a methodological distinction between the two terms and reclassifying the divisions of Arabic morphology. The study recommends conducting in-depth studies on the concept of category in Arabic linguistics and investing it in analyzing other linguistic phenomena, benefiting from it in the educational curricula for teaching the Arabic language, and integrating the concept of category in teaching morphology and derivation.

KEYWORDS
الكلمات المفتاحية
Arabic morphology, grammatical heritage, lexical unit, linguistic phenomena, logical concepts, speech part
التراث النحويّ، الصرف العربيّ، الظواهر اللغوية، المفاهيم المنطقيّة، مفهوم المقولة، الوحدة المعجمية

CITATION
الإحالة
Al-Lahim, I.S. (2024). Altasrif waliashtiqaq fi daw' tatawur mafhum alsarf fi allisaniaati: Gira'at lisaniat jadida 'Morphology and derivation in perspective of the development of the concept's conjugation in linguistics: A new linguistic reading'. *Scientific Journal of King Faisal University: Humanities and Management Sciences*, **25**(2), 34–40. DOI: 10.37575/h/lng/240023 [in Arabic]
اللاحم، إبراهيم سليمان. (2024). التصريف والاشتقاق في ضوء تطور مفهوم الصرف في اللسانيات: قراءة لسانية جديدة. *المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل: العلوم الإنسانية والإدارية*، **25**(2)، 34–40.

1. مقدّمة

يلحظ قارئ التراث تعدّد دلالة مصطلحيْ التصريف والاشتقاق، وتداخل استعمالهما أحيانا، وعدم وجود حدّ مانع جامع لهما. ويلحظ كذلك أنّ النحويين قد أقرّوا بالتداخل بينهما، وتنوّعت طرائقهم في الفصل بينهما.

ونرمي في هذا البحث إلى صياغة تمييز منهجيّ يضبط الحدود بين المصطلحين منهجيًا، ويدفع التداخل بينهما في الممارسة العمليّة. ومن أجل هذا سوف نستثمر مبادئ لسانيّة عامّة صلح تطبيقها على الألسن البشريّة لإعادة ضبط المصطلحين والتمييز بينهما. وإعادة تبويب أقسام الصرف العربي بالاستفادة ممّا جدّ في الدرس اللسانيّ.

وينبغي أن نقرّ هنا بأنّ الدراسات العلميّة في الألسن البشريّة قد تجاوزت المقابلة وعقد المقارنة على سبيل التمييز بين التراث والبحث اللسانيّ المعاصر، ونقرّ أيضا بأنّه لا يمكن التخلّي عن التراث أو التوقّف عنده وعدم مجاوزته إلى ما جدَّ في البحث العلميّ المعاصر بصفة عامّة والبحث اللسانيّ الكونيّ بصفة خاصّة. بل يجب أن ننفتح عليه ونستثمره في قراءة التراث وإعادة صياغة المفاهيم والمبادئ، وإعادة التبويب، وإبراز القيمة العلميّة للتّراث دون السقوط في التمجيد أو الافتعال أو المغالطات العلميّة.

إنّ ما أنتجه البحث اللغويّ القديم من معارف نحويّة أو صرفيّة أو معجميّة هو جزء أساس لا يمكن الاستغناء عنه. بل هو لبنة أساسيّة اتّكأ عليها الدرس اللسانيّ المعاصر في تطويره للبحث اللغويّ.

وما يعطي المبادئ اللسانيّة الصفة العلميّة ويجعلها منطلقا ومعيارا للحكم هو اعتمادها على كونيّة الحقائق اللسانيّة، حيث تطبّق هذه المبادئ على ألسن متباينة من الفصائل اللغويّة. وتُقَرُّ بعد مناسبتها لهذه الألسن البشريّة المتباينة، وتُعتمد في الدراسات العلميّة.

ويتكوّن البحث من ثلاثة محاور: يدرس أوّلها تطوّر مفهوم الصرف في علم اللسانيات، ويدرس ثانيها دلالة التصريف والاشتقاق في التراث النحويّ والعلاقة بينهما، وتداخلهما ومحاولات بعض النحويّين التمييز بينهما. وأمّا المحور الثالث فيخصّص لتطبيق المفاهيم المنطقيّة الرياضيّة للتمييز بين المصطلحين، وإعادة تبويب أقسام الصرف العربيّ. ويستند البحث في ذلك كلّه إلى المنهج الوصفي التحليلي.

ولئن لم نعثر على دراسات سابقة بحثت في مسألة التصريف والاشتقاق في ضوء تطوّر مفهوم الصرف في اللسانيات، فإنّنا لا نعدم وجود بعض الدراسات التي تناولت مفهوم الصرف أو التصريف أو الاشتقاق، ومن أبرز

Corresponding Author: Ibrahim Suleiman Al-Lahim 00966555499330, *islahm@qu.edu.sa* المؤلف المراسل: إبراهيم سليمان اللاحم

تلك الدراسات دراسة رمضان (2006) بعنوان "الصيغ الصرفيّة في العربيّة في ضوء علم اللغة المعاصر"عبد الودراسة باسندي (2008) بعنوان "الصرف والتصريف وتداخل المصطلح"، ودراسة الأدبعي (2016) بعنوان "من قضايا المورفولوجيا العربيّة في التصنيف والشكل الوظيفي"عبد ال، ودراسة مقدادي (2016) بعنوان "ظاهرة الاشتقاق من الدرس اللغوي العربي إلى اللسانيات: إشكالية المعالجة وزاوية النظر"، ودراسة زغودة (2017) بعنوان "تأثير علم الصرف في الدرس اللسانيّ المعاصر"، ودراسة لرول (2022) بعنوان "المورفولوجيا في اللسانيات الحديثة" .

ورغم تعرّض هذه الدراسات السابقة لمفهوم الصرف والتصريف والاشتقاق، وأهمّيّة النتائج التي وصلت إليها فإنّها لم تستند إلى مفهوم المقولة في التمييز بين التصريف والاشتقاق وإعادة تبويب أقسام الصرف. ولم تتعرّض لتحوّلات مفهوم الصرف في التفكير اللسانيّ المعاصر، وانعكاسه على هذا التمييز. فما التغيّرات الطارئة على مفهوم الصرف في ضوء التفكير اللسانيّ؟

2. تطوّر مفهوم الصرف في اللسانيات

يتّفق أغلب مؤرخي اللسانيات على أنّ نشأتها كانت في أوّل القرن التاسع عشر مع فرانز بوب، وتأسيس ما يسمّى بالنحو المقارن. ولذلك سننطلق من هذه المرحلة في دراسة تطوّر مفهوم الصرف في هذا العلم.

اتّسمت هذه المرحلة بالاهتمام بالدراسة الزمانيّة وتقديمها على الدراسة الوصفيّة الآنيّة التي أنجزها عامّة النحويّين. ونشأت الدراسات المقارنة بين الألسنة، وضبطت السلالات أو الفصائل اللغويّة التي تنتمي إليها، واعتُمد في المقارنة بين الألسنة على دراسة الكلمة، ومقارنة الكلمات الأصليّة غير المقترضة في الفصائل اللغويّة. وقد ركّزوا بشكل عامّ على فصيلة اللغات الهنديّة الأوربيّة.

وقد وسَّعت هذه المرحلة آفاق اللسانيّين؛ لأنّها جعلتهم يكتشفون الكثير من الألسنة ويقارنون بينها. وكان اكتشاف القرابة اللغويّة بين السنسكريتيّة لسان كتاب الفيدا المقدّس عند الهندوس من أبرز الإنجازات العلميّة. وكان من نتائج هذه المرحلة أن طوّر أصحاب المنهج المقارن تفكيك الكلمات المنتمية إلى ألسنة مختلفة للمقارنة بينها. ففصلوا بين العنصر المعجميّ في الكلمة من جهة، والعناصر النحويّة والاشتقاقيّة من جهة ثانية.

ورغم أنّه اشتهر بين الباحثين أنّ هذه المرحلة هي مرحلة النحو المقارن، فالصحيح أنها مرحلة الصرف المقارن بين الألسنة. ويؤيّد هذا أنّ مبحث الصرف ممثّلا في الكلمة كان المقياس الأساس لوضع أنماط الألسنة، مثل الألسنة الإلصاقيّة والمزجيّة (المجدوب، 2019)، فكان مقياس التبويب مقياسا صرفيّا بما أنّه قائم على الكلمة.

ومع كلّ مزايا مرحلة النحو المقارن فإنّ أصحابه، بسبب تعصبهم للدراسة الزمانيّة التاريخيّة، ذهبوا إلى أنّ الاشتقاق الذي يحظى بمنزلة الدراسة العلميّة هو اشتقاق لسان من لسان آخر سابق له في الزمان. فحصر أصحاب هذا الاتجاه الاشتقاق في المنظور التاريخيّ فقط. ولم يروا فائدة في دراسة علاقات الاشتقاق التي تقوم بين ألفاظ اللسان الواحد.

ثم جاء دي سوسير بعد ذلك، وميَّز بين الدراسة الزمانيّة التاريخيّة والدراسة الآنيّة الوصفيّة، وأعطى الأولويّة المعرفيّة للدراسة الوصفيّة. وهي الدراسة التي كان يقوم بها النحويّون العرب والهنود والإغريق. وقد شرَّع دي سوسير الدراسة الصرفيّة وأسّسها في مستوى اللسانيات العامّة. وشرَّع كذلك لدراسة علم الدلالة وعلم التركيب في مستوى الألسنة البشريّة عامة.

وورث البنيويّون عن مرحلة المقارنة التمييز بين الوحدات المعجميّة من جهة، والوحدات التصريفيّة النحويّة من جهة ثانية. وأثمر هذا التفريق تمييزا اصطلاحيّا بين الوحدات الدالّة على معنى معجميّ، والوحدات التي تكيّف شكل المعنى المعجميّ. فنشأ تقليد المقابلة بين المعنم Sémanteme والصيغم Morpheme. أي الوحدات التصريفيّة والاشتقاقيّة التي تحدّد شكل الوحدات الدالّة على المعاني. ولكن لم ترض هذه المقابلة بين المعنم والصيغم كلّ اللسانيّين، ورأوا أنّها صالحة للألسنة الهندو أوربيّة فقط، ولا تصلح ضرورة لكلّ الألسنة.

ومن أبرز هؤلاء ليونارد بلومفيلد الذي فضّل أن يطلق مصطلحا واحدا على أيّ وحدة دنيا دالّة في الكلمة سمّاه مورفيم. ويصحّ عنده إطلاق المورفيم على العنصر المعجميّ، وهو الجذر في العربيّة، وكذلك أطلقه على الحركة الإعرابيّة أو الزيادة الاشتقاقيّة (ديكرو وسشايفر، 2003). وكان دافعه في ذلك الحذر المنهجيّ من مزلق فرض مقولات الألسنة الأوروبيّة على الألسنة المكتشفة حديثا في القارّة الأمريكيّة أو في أستراليا وآسيا.

وفي القرن العشرين تضاءل الاهتمام بالصرف وبمكوّنات الكلمة. فهي لم تعد المعيار الأساس لتنميط الألسنة. وظهر لسانيّون يدعون إلى اعتماد المقاييس التركيبيّة، مثل غرينبارغ الذي دعا إلى وضع أنماط الألسنة في ضوء ترتيب الكلمات في الجملة. ودعا تانيار (2012) إلى تنميط الألسنة حسب رتبة العامل من المعمول.

وفي هذا السياق العامّ دعا كثير من اللسانيّين إلى التخلّي عن مصطلح الكلمة؛ لأنّه لا يمكن تعريفه تعريفا صالحا لكلّ الألسنة مثل تانيار ومارتيني (2012). ولا غرابة في ذلك فقد أعطى البنيويّون والتوليديّون في هذه المرحلة الأولى للنحو على الصرف، وعدّوا الكلمة مجرّد مركّب من بين المركبات. وفي عام 1980 عاد الاهتمام بالكلمة، لعودة الاهتمام بالمعجم وتقديمه على النحو، فدُرست بنية الكلمة وترتيبها الداخليّ وترتيب العناصر الاشتقاقيّة من العناصر الإعرابيّة والتصريفيّة.

2.1. التمييز بين التصريف والاشتقاق ضمن تطور البحث اللسانيّ:

وبدأت جذور التمييز بين التصريف والاشتقاق مع النحو المقارن مثلما أسلفنا. وقد نشأت شيئا فشيئا مع المحاولات الأولى لصياغة القواعد النحويّة والصرفيّة صياغة صوريّة رياضيّة منطقيّة. وكان تمثيل الجملة بالصناديق أو بالتقويس المقتبس من الرياضيات أو بالتشجير أوّل الخطوات (هاريس، 2012). ويحسب في هذا السياق لمارتيني (2012) أنّه ميّز بين الوحدات النحويّة والوحدات المعجميّة، على أساس أنّ الأولى قائمات مغلقة، وأنّ الثانية قائمة مفتوحة قابلة للزيادة. مثلما يشهد بذلك لاينس.

ولقد خطا لاينس (2012) خطوة مهمّة جدّا في هذا الاتّجاه عندما نشر كتابه الأوّل (مبادئ في علم الدلالة)، ونشر بين اللسانيّين بعض المفاهيم المنطقيّة الصوريّة. فأدخل مفاهيم الذكر والاستعمال والأصناف والأفراد ومنطق المحمولات.

وقد كانت هذه المفاهيم ضمنيّة في تمييز اللسانيّين بين الفونيم والصوت الذي يتحقّق به، وفي التمييز بين المورفيم والألفاظ والبدائل التي يتحقّق بها، مثل الرفع في العربيّة، وهو مورفيم يتحقّق تارة بالضمّة وتارة بالألف وتارة بالواو.

وممّا يدلّ على أنّ التمييز بين الأصناف والأفراد كان عند البنيويّين منذ اكتشاف مفهوم الصوتم والصوت أنّهم خصّوا الصوتم برمز خاصّ هو الحروف الكبيرة المسمّاة (Capital). وعمّموا المبدأ نفسه على المورفيم وإن كان برمز آخر مثل المعقفات.

ويصعب أن نحدّد عاملا واحدا وراء تبلور المقابلة بين الاشتقاق والتصريف في اللسانيات، ولكن يمكن أن نحدّد ثلاثة روافد:

- اتّساع عدد الألسنة الجديدة التي يعرفها اللسانيّون، واكتشاف ألسنة كثيرة بغير مكوّن صرفيّ مثل الفيتناميّة، على خلاف اللاتينيّة والسنسكريتيّة والعربيّة. وتبين بعد هذا الاكتشاف اختلاف التصريف عن الاشتقاق، بدليل أنّ الاشتقاق هو الآليّة الوحيدة المشتركة بين عامّة الألسنة البشريّة.
- دخول الوصف الرياضيّ المنطقيّ للوصف اللسانيّ مع تشومسكي (2012) عام 1957، وقد بدأ هذا الوصف بالمستوى التركيبيّ. وكان هاريس أستاذ تشومسكي رائدا في هذا المجال.
- الاهتمام بالمعجم، وظهور المدوّنات الضخمة، والبحث الآلي والترجمة الآلية (المجدوب، 2022). وقد تبع هذه المرحلة دخول المفاهيم الرياضيّة دخولا منظّما ومنهجيّا للبحث المعجميّ والبحث اللسانيّ.

ويمكن أن نعتمد في التمييز بين الصرف والاشتقاق على تصوّر إيغور ماتشوك ممثلا للاتّجاه المعجميّ، ونعتمد بالعربيّة كتاب مفاهيم دلاليّة ولسانيّة لوصف العربية لعزّ الدين المجدوب.

2.2. الصرف عند ملتشوك:

يشترك ملتشوك (2023) مع التوليديّين فيما يأتي:

- التمييز بين مصطلح كلمة word ومورفيم ووحدة معجميّة.
- الإقرار بأنّ أساس الفصل بين الاشتقاق والتصريف هو كون التغيير في الاشتقاق يولّد وحدة معجميّة جديدة، وأمّا التغيير الصرفيّ فلا يخلق وحدة معجميّة جديدة، وإنّما يحوّر تحويرا طفيفا لا يغيّر المضمون المعجميّ ويبقي عليه.

ويختلف عن التوليديّين فيما يأتي:

- لم يحتفظ بمصطلح الكلمة، واستعاض عنه بمصطلح اللفظة (Word-form)، وعدّ موضوع علم الصرف اللفظة لا الكلمة.
- تحديد الخصائص الرياضيّة التي تتّسم بها الوحدات في باب الاشتقاق أو في باب التصريف.
- ضبط التغييرات المفيدة لمعنى ضمن باب التصريف بأنّها تنتمي إلى مفهوم المقولة التي عرّفها بكونها مجموعة محصورة من العناصر يكون المتكلّم مجبرا على اختيار أحد أفرادها، واستقصاها في عامّة الألسنة، مثل التعريف والتنكير والإعراب والجنس، ونحو ذلك.

2.3. الصرف عند المجدوب:

اعتمد المجدوب (2019) على مفهوم المقولة في بيان مفهوم الصرف، واستعمل مفهوم المقولة بمضامين مختلفة في الدرس اللسانيّ، من ذلك مثلا استعمال صلاح الدين الشريف مفهوم المقولة في الوحدة اللغويّة الموغلة في التجريد التي تسبق التقاء الدالّ بالمدلول. وهو معنى تدخل فيه ظواهر نحويّة ومعجميّة وصرفيّة، مثل مقولة الاستفهام، فهي تتحقّق وتوجد بوحدات معجميّة ونحويّة وبأوزان صرفيّة.

وما يعنينا من تصوّر عز الدين المجدوب هو إجراء مفهوم المقولة، لكونه من أبرز المفاهيم في الوصف والتصنيف. وسيأتي بيان مفهوم المقولة وتطبيقه على مفهوم الصرف في آخر البحث.

3. دلالة التصريف والاشتقاق في التراث

بعد أن تناولنا تطوّر علم الصرف في اللسانيات العامّة والمعايير المعتمدة في ذلك سوف نستكشف في هذا المبحث دلالة المصطلحين في التراث، ومدى تمييز النحويّين بينهما تمييزا صارما في المستوى النظريّ وفي الممارسة العلميّة. وسنبدأ بعرض موجز لهذه الدلالات ثم ننتقل إلى بيان العلاقة بين المصطلحين، ومدى التداخل بينهما، ثمّ نبيّن محاولات التمييز بينهما في التراث.

3.1. تعدّد دلالة لفظيْ التصريف والاشتقاق في التراث:

التصريف في اللغة هو التغيير والتحويل، ومنه تصريف الرياح أي تغييرها وتحويلها من جهة إلى أخرى، وتصريف الكلام تغييره إلى غير ظاهره. وأمّا الاشتقاق فهو الأخذ من الشيء، واشتقاق الكلام أو الحرف الأخذ منه (ابن منظور، 1994). وجاء في معجم العين للفراهيدي (2002: 347/7) تعريف التصريف بالاشتقاق على النحو الآتي: "التصريف اشتقاق بعض من بعض". حيث فسَّر التصريف معجميّا بالاشتقاق، وهو الأخذ من الشيء. وعندما عرَّف ابن يعيش (1973: 19) التصريف في اللغة جمع أيضا بين المصطلحين قائلا: "التصريف: اشتقاقه من تصريف الحديث والكلام، وهو تغيير يجعله على غير الظاهر، ومنه تصريف الريح، وهو تحويلها من حال إلى حال".

نستخلص في نتيجة أولى أنّ التصريف والاشتقاق قد التقيا في الدلالة المعجميّة، وهي التغيير والتحويل. فالتصريف تغيير وتحويل من حال إلى حال، وكذلك الاشتقاق. بل إنّ هذا المعنى المعجميّ لم ينفك عن جميع دلالات التصريف الاصطلاحيّة التي استعملها النحويّون كما سيأتي.

وإذا تأمّلنا استعمال سيبويه للمصطلحين نلحظ أنّه استعمل الاشتقاق في أكثر من موضع، وكلّها تدلّ على معنى الاشتقاق المعروف، وهو توليد كلمة من كلمة أخرى. وأمّا التصريف فقد استعمله في موضع واحد، ووقع خلاف بين النحويّين في تفسير مراده. وذكر سيبويه (1983: 242/4) فيما أسماه باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجي هكذا في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، قال "وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل".

وفهم السيرافي (2008) أنّ التصريف عند سيبويه هو أن تُبنى كلمة على وزن كلمة أخرى، كبنائك من: ضرب على وزن: فعلل فتقول: ضربب. فالسيرافي فسّر الصرف بمسائل التمارين التي وضعها النحويّون للتدريب على مسائل الصرف. وهذا يعني أنّ التدريب على مسائل الصرف هو تطبيق للقواعد الصرفيّة والموازين التي استخلصها النحاة من النصوص المسموعة واستنبطوها. ونتيجتها ليست وحدات معجميّة مسموعة. وبذلك فهذا التصريف نشاط نظريّ صرف يدخل في باب الكلام على الكلام أو الميتالغة بمصطلح المناطقة واللسانيّين.

وأمّا الرماني (1998: 128) ففهم أنّه "تصيير الكلمة على خلاف ما كانت عليه في الصيغة"، أي التغيير الذي يلحق الكلمة من زيادة أو إعلال ونحوها. فالرماني فسّر الصرف بالاشتقاق. وقد رجّح حسن هنداوي (1989) رأي الرماني؛ لأنّ ما ذكره السيرافي وهو التمارين يأتي في مرحلة تالية للتصريف. إذا لا يمكن أن يقدر عليه إلّا من عرف مباحث التصريف من أبنية وإعلال وغيرها وأتقن ذلك. فلا يمكن أن يبني أمثلة مقيسة على كلام العرب من ليس لديه معرفة بأحكام الصرف. وسواء كان سيبويه يستعمل مصطلح التصريف للدلالة على المعنيين السابقين أو أحدهما، فإنّنا نؤكّد هنا تعدّد دلالة المصطلح ووجود خلاف في مفهومه.

ومن مظاهر هذا التداخل بين دلالة المصطلحين في المستوى النظريّ ما نجده عند السيرافي من تسمية اشتقاق الصيغ من المصدر تصريفا، قال: "وأما الطرق التي يتوصل بها إلى معرفة الزيادة فهي ثلاثة: الاشتقاق، والخروج عن الأمثلة، والقياس على زيادة النظير". ثم بيّن أنّ الاشتقاق هو "أن ترد عليك الكلمة وفيها بعض حروف الزيادة، فإذا صرفتها سقط ذلك الحرف في بعض تصاريفها، فيحكم على الحرف بالزيادة لسقوطه في بعض تصاريف الكلمة" (السيرافي، 2008: 136). ومثل لذلك بالهمزة في أحمر.

وسمَّى الرماني أيضا الاشتقاق تصريفا، وساق، وهو يشرح مصطلح التصريف، تطبيقات لم يفرّق فيها بين التصريف والاشتقاق. قال: "وإنما جازت الزيادات في الكلام لأنّ المعنى الواحد لما كان يتصرف في الأوجه المختلفة". ووضح معنى هذا التصرف في الأوجه المختلفة وهو أن "يكون في جهة الماضي، ومرة يكون في جهة المستقبل، ومرة يكون في جهة الحاضر، ومرة يكون في جهة الأمر، ومرة يكون في جهة النهي". ثم ذكر أنّ هناك أوجها أخرى من التصرف وهو أن يأتي "مرة في جهة الفاعل، ومرة في جهة المفعول، ومرة في جهة صفة المبالغة، ومرة في جهة الآلة للعمل، ومرة للمخاطب، ومرة للغائب، ومرة للمتكلم، ومرة لجماعة المتكلمين". وبعد أن عرض أوجه التصرف المختلفة التي تقع في الكلمة قال: "تصرف المعنى الواحد في هذه الأوجه الكثيرة أوجب أن يتصرف في اللفظ بالصيغ المختلفة من الأصل الواحد ليدل على المعنى الواحد في الجهات المختلفة" (الرماني، 1989: 49). ومثَّل الرُّماني لما سبق بما يتصرف من (الضرب) وهي: ضَرَبَ، وسَيَضْرِبُ، ولا تَضْرِبْ، ضَرْبٌ، وضارِبٌ، ومضروبٌ، وضَروبٌ، ومِضْرابٌ، وتضرب للمخاطب.

نلحظ أنّ الرماني عدَّ من التصريف اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة واسم الآلة، وفي الوقت ذاته ساق تطبيقات على تصريف الكلمة، كالانتقال في الأزمنة أو في التعيين والحضور.

ونصَّ ابن السراج (1988) على أنّ التصريف هو ما يحدث من تغيير في أصل الكلمة وشكلها، وجعل التصريف في خمسة أقسام: زيادة وإبدال وحَذْف وتغيير بالحركة والسكون وإدغام. وهذه الأقسام هي حصر للموارد اللغويّة في الدالّ وتغييرات شكليّة لا تؤثّر في المعنى. واستعمل ابن جني مصطلح التصريف بثلاث دلالات وهي:

- التنقّل بين أزمنة الفعل؛ الماضي والحاضر والمستقبل:
- التنقّل في أحوال الكلمة؛ الأسماء والصفات والأفعال:

ونصّ ابن جني (1954: 32) على هذين المعنين في قوله: "الزيادة في الكلمة ضرب من تصريفها، ولست أعني بالتصريف هاهنا التنقل في الأزمنة، نحو: ضرب ويضرب وسيضرب، وإنما أريد تنقل أحوال الكلمة وتعاور الزيادة إياها".

والمعنى الثاني شامل للأوّل؛ لأنّ التنقّل في أحوال الكلمة والتغيير فيها بالزيادة أو التحريف يكون أيضا بالتنقّل في الأزمنة؛ الماضي والمضارع والمستقبل؛ قال ابن جني : "التصريف أن تأتي إلى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصرف فيها والتصريف لها". ومثل لذلك بنحو: ضرب، فقال: "فهذا مثال الماضي، فإذا أردت المضارع قلت: يضرب أو اسم الفاعل قلت: ضارب أو اسم المفعول قلت: مضروب أو المصدر قلت: ضربا" (ابن جني، 2022: 5). نلاحظ أن ابن جني قصد معنى التنقّل في الأحوال وتعاور الزيادة، وشمل أيضا التنقّل في الأزمنة. وقد سمَّى الشاطبي (2008) النوع الثاني: تصريف عربيّ، وهو مقابل للتصريف الصناعيّ الذي سيأتي بيانه.

شبه الاشتقاق: شبه الاشتقاق اصطلاح أطلقه ابن جني، ويقصد به قياس كلمة استعملتها العرب على كلمة أخرى لم تستعمل، من باب التمرين والتدريب على قوانين الحذف والإبدال والإعلال، ومثلّ ابن جني (1954: 4) لذلك بالبناء من ضَرَبَ على وزن: جَعْفَر "فتقول: ضَرْبَب، ومثل: قِمَطْر: ضِرَبّ، ومثل دِرْهَم: ضِرْبَب، ومثل عَلِم: ضَرِب، ومثل ظَرُف: ضرُب، أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة". وينتمي هذا إلى الاشتقاق الميتالغوي، الذي يخصّ الباحث في اللغة.

ونصَّ ابن مالك (2009) على أنّ هذا التصريف لا يسمّى اشتقاقا؛ لأنّ الاشتقاق خاصّ بما بنته العرب. وقد سمَّى الشاطبي (2008) هذه الدلالة: التصريف الصناعيّ، وسمّاها حسن هنداوي (1989): القياس اللغويّ.

وبعد أن بيَّنا دلالة التصريف والاشتقاق في التراث، وظهر لنا تداخلهما في المستوى النظريّ وفي الممارسة العمليّة، ولاحظنا تسمية التصريف اشتقاقا والاشتقاق تصريفا، نصل إلى نتيجتين رئيستين: تتعلّق الأولى باستعمال النحويّين لمصطلح التصريف، بخمس دلالات، وهي:

- التنقّل بين أزمنة الفعل؛ الماضي والحاضر والمستقبل.
- التنقّل في أحوال الكلمة؛ الأسماء والصفات والأفعال.
- شبه الاشتقاق (التصريف الصناعيّ).
- الاشتقاق (التصريف العربيّ).
- التغيير الشكليّ في بنية الكلمة كالإعلال والإبدال والحذف والزيادة.

ونلحظ في دلالة التصريف السابقة في التراث ما يلي:

- التنقّل بين الأزمنة من التصريف الذي ليس فيه خلق وحدة معجميّة جديدة.
- التنقّل في أحوال الكلمة من الاشتقاق الذي يخلق وحدة معجميّة جديدة.
- شبه الاشتقاق من التصريف الميتالغويّ، وهو من نشاط اللسانيّ الواصف للسان الذي يختبر صحة القاعدة التي وضعها بقطع النظر عن تحقّق هذه الوحدة المعجميّة فعليًا في اللسان المعني بالدّرس أو لا.
- التصريف العربيّ من الاشتقاق عند المتكلّم الذي يخلق وحدة معجميّة جديدة، وهو تطبيق القواعد المستنبطة لاحتذاء المتكلم العربيّ بالسليقة.
- التغيير الشكليّ من التغيير في المستوى الصوتيّة الفونولوجيّة الذي لا يخلق وحدة معجميّة جديدة.
- دلالات التصريف في التراث كلّها تغييرات تؤدّي إلى تغير المعنى ما عدا الدلالة الخامسة، فهي تغيير في المستوى الشكليّ (الدالّ). فهي تخص التغييرات اللفظيّة في البنية التي لا تؤثّر في المعنى، كالإعلال والإبدال والإدغام. كما سياتي تفصيله في المبحث الموالي.

وتتعلّق النتيجة الثانية بتمييز النحويّين بين نوعين من الاشتقاق، هما:

- الاشتقاق الميتالغويّ، وهو ما أسماه ابن جني شبه الاشتقاق، وسماه الشاطبي الاشتقاق الصناعيّ، وهو نشاط خاصّ بدارس اللغة، وليس له أثر في نشاط المتكلم اللغويّ كما سبق.
- الاشتقاق الذي يحتذي فيه المتعلّم بما نطقت به العرب حتى يلحق بهم في سلامة الكلام بالعربيّة، وهو ما أسماه ابن مالك الاشتقاق العربيّ، وسماه الشاطبي التصريف العربيّ.

3.2. مباحث التصريف والاشتقاق:

تتّخذ التغييرات التي تحدّث في بنية الكلمة شكلين: أحدهما يؤدّي إلى تغيير في المعنى، مثل: الاشتقاق والجمع والتصغير والنسب والتعيين والحضور والغيبة والبناء للمجهول. والثاني لا يؤدّي إلى تغيير في المعنى، مثل الإعلال والإبدال والإدغام. وكلاهما داخل ضمن مباحث التصريف في التراث.

وإذا تأمّلنا تصنيف النحويّين لمباحث التصريف والاشتقاق نلحظ أنّ من النحويّين من قصرها على التغيّر الشكليّ للبنية كابن السراج (1988)، فهو - كما سبق بيانه- حصر التصريف في الزيادة والإبدال والحذف والتغيير بالحركةِ والسكونِ والإدغام.

ونجد من النحويّين من وعى هذا الفصل بين التغيّرات التي تؤثّر في المعنى والتغييرات التي لا تؤثّر في المعنى، كابن عصفور (1996) الذي جعل التصريف في قسمين: الأوّل جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني. والثاني تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالّا على معنى طارئ على الكلمة. وقد نبّه ابن عصفور إلى أنّه من التصريف اختلاف صيغة الاسم للمعاني التي تعتوره من التصغير والتكسير، مع أنّه قد جرت عادة النحويّين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف، يقصد النحو. وقال ابن مالك (1982: 213): "التصريف تحويل الكلمة من بنية إلى غيرها لغرضٍ لفظي أو معنوي".

وكان النحويّون قد جعلوا بعض التغييرات التي تحدث في بنية الكلمة ضمن مباحث النحو، مثل التغييرات في الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والبناء للمجهول وغيرها. ومنهم من استعمل التصريف بمفهومه العامّ الذي يشمل النحو والصرف، ويدلّ على ذلك أنّهم أخرجوا أغلب هذه الأبواب من الكتب المختصّة في الصرف، كما في كتاب التصريف للمازني، والتصريف الملوكي لابن جني، والممتع الكبير في التصريف لابن عصفور.

ولا يعدُّ اللغويّون المعاصرون التغييرات في البنية التي لا تؤدّي إلى تغيّر في المعنى من التصريف، بل هي تغييرات صوتيّة تفسّرها قواعد علم الأصوات (بشر، 1980).

ولكنّنا نقف في التراث النحويّ على من أشار إلى أنّ التغييرات الشكليّة في بنية الكلمة، كالإعلال والإدغام وغيرها هي أحكام في التصريف، أو أحوال عارضة فيه، وليست التصريف نفسه. ويوضّح المرادي هذا المعنى عندما عقّب على قول ابن مالك معرّفا التصريف بأنّه تغيير بنية لمعنى قصدا، وبأنّه لا يشمل قسمي التصريف، وإنّما شمل الأوّل فقط، وهو تغيير الكلمة لمعنى. قال: "المراد بقوله لمعنى ما ذكره في شرحها؛ إذ قال: التصريف تحويل الكلمة من بنيتها إلى غيرها لغرض لفظي أو معنوي، فهو إذن شامل للنوعين. ثم ذكر المراديحدَّ ابن مالك للتصريف بأنّه علم يتعلّق ببنية الكلمة، وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال، وشبه ذلك. وقال: "تصريف الكلمة هو تغيير بنيتها بحسب ما يعرض لها من المعنى، كتغيير المفرد إلى التثنية والجمع، وتغيير المصدر إلى بناء الفعل واسمي الفاعل والمفعول، ولهذا التغيير أحكام كالصحة والإعلال" (2008: 158/3).

وإذا اعتمدنا هذا الرأي القائل بأنّ التغييرات الشكليّة في البنية هي أحكام عارضة في التصريف، وليست هي التصريف نفسه، فإنّ جميع التغييرات التي تحدث في بنية الكلمة تنحصر فيما أحدث تغيرا في المعنى؛ لأنّ الإعلال والإبدال والإدغام ونحوها من التغييرات التي لا تؤثّر في المعنى لا تعدُّ تصريفا للكلمة، وإنّما هي أحكام عارضة تحدث أثناء التصريف. وهذا التفسير يتّفق مع ما استقرّ في الدرس اللسانيّ الحديث. وباعتماده تخرج الدلالة الخامسة السابقة وهي التغيير الشكليّ في البنية من دلالة مصطلح التصريف.

3.3. محاولات الفصل بين الدلالة التصريفيّة والدلالة الاشتقاقيّة في التراث:

ولاحظنا فيما سبق تداخل الدلالة التصريفيّة مع الاشتقاقيّة في المستويين النظريّ والعمليّ. ورأينا استعمال النحويّين لمصطلح التصريف بخمس دلالات منها دلالة الاشتقاق. وتسمية الاشتقاق تصريفا والتصريف اشتقاقا.

وقد وعى النحويّون هذا التداخل في بعض الاستعمالات، وأقرّوا بصعوبة التفريق بينهما أحيانا. ومن أوائل الذين أشاروا إلى ذلك هو ابن جنّي في قوله: "وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا، واتصالا شديدا". ووضح ابن جني التداخل ببناء: ضَرْبَب وهو بناء من: ضَرَبَ، على وزن:

جَعْفَر، قال: "أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة. وكذلك الاشتقاق أيضا". ومثلّ لذلك بالاشتقاق من المصدر (ضرْب) فقال: "فتشتق منه الماضي فتقول: ضَرَبَ، ثم تشتق منه المضارع فتقول: يضرب، ثم تقول في اسم الفاعل: ضارب، وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة... فمن هاهنا تقاربا واشتبكا" (ابن جني 1954: 3).

ورغم هذا التداخل فهناك محاولات عند النحويّن للفصل بين المصطلحين. ونجد بعض المعايير النظريّة في مواضع متفرّقة من التراث. ويمكن تلخيصها في أربعة معايير:

- معيار طبيعة العلاقة بينهما وبين اللغة والنحو. فالتصريف يتبع النحو والاشتقاق يتبع اللغة. لأنّ الاشتقاق أقعد في اللغة، والتصريف أقعد في النحو. قال ابن جني (1954: 4): "إلّا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف. كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق". وقد استدلّ ابن جنّي على ذلك بوقوع التصريف دائما في آخر كتب النحو، وعدم انعقاد أبواب للاشتقاق في النحو، وأنّه إنّما ترد منه ألفاظ متفرّقة في كتب النحو.
- معيار الممارسة العمليّة في تحديد الصيغ المشتقّة، فالتصريف هو السبيل الوحيد إلى الاشتقاق؛ لأنّه يحدّد الصيغ المشتقّة. ويستدلّ بالاشتقاق لمعرفة الزائد من الأصليّ، قال ابن جنّي (1954: 4) عن التصريف: "ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به".
- معيار العلاقة بين اللغة الواصفة واللغة الموصوفة، وذلك أنّ الاشتقاق خاصّ بما فعلت العرب، وأمّا التصريف فعامّ لما فعلته العرب ولما يحدثه النحويّون بالقياس. فالتصريف أعمّ من الاشتقاق، فكلّ تصريف اشتقاق وليس العكس (ابن عصفور، 1996).
- معيار تطبيق أصل من أصول النحو العربيّ، وهو مبدأ الأصل والفرع. وقد طبّقه ابن عصفور (1996: 182) عندما أراد أن يجلي التداخل بينهما في المستوى النظريّ، قال: "إذا كان الاستدلال على الزيادة أو الأصالة، برد الفرع إلى أصله، سمي ذلك اشتقاقًا. وإذا كان الاستدلال عليهما بالفرع سمي ذلك تصريفًا".

فالاشتقاق إذن يستدلّ عليه بردّ الفرع إلى الأصل. ومثلّ ابن عصفور (1996) لذلك بالاستدلال على زيادة همزة أحمر بأنّه مأخوذ من الحمرة، فالحمرة هي الأصل الذي أخذ منه أحمر؛ لأنّ المستدل على زيادة همزته - وهو أحمر- مأخوذ من "الحمرة". والتصريف يستدلّ على الزيادة بالفرع، ومثلّ ابن عصفور لذلك بالاستدلال على زيادة ياء أيصَر، بقولهم في جمعه: "إصارٌ" بحذف الياء وإثبات الهمزة. فـ"إصار" فرع عن أيصر لأنّه جمعه. فالمستدل على زيادة يائه -وهو أيصر- ليس بمشتقّ من إصار، بل إصار تصريف من تصاريفه الدالّة على زيادة يائه. وذكر الشاطبي (2008: 308) أنّ الاشتقاق طريق للاستدلال على الفرع بأصله، قال: "ولا شك أن اللزوم وعدمه إنما يبحث عنه في تصاريف المادة التي ثبتت للمعنى المشترك لكن البحث فيها على وجهين أحدهما طريق الاشتقاق وهو الاستدلال على الفرع بأصله" أما الطريق الثاني فهو التصريف، وهو "الاستدلال على الأصل بفرعه، وكلاهما دليل لا غبار عليه وهما الأصل في الدلالة على الأصالة والزيادة وما عداهما راجع إليهما" (الشاطبي، 2008: 308).

ورغم وعي النحويّين بالتداخل بين المصطلحين ومحاولاتهم الفصل والتمييز بينهما، فإنّنا لا نجدها في الواقع تدفع التداخل دفعا تامّا، ولا تميّز بينهما تمييزا صارما، بل نجد تداخلها لدى النحويّين في مواضع متعدّدة، حيث استعملوا التصريف بمعنى الاشتقاق والعكس، وتعدّدت دلالة المصطلحين، وقد سقنا لذلك عدّة أمثلة وشواهد.

4. اعتماد مفهوم المقولة لإعادة ضبط دلالة التصريف والاشتقاق

تبيّن من عرض دلالة مصطلح التصريف والاشتقاق في التراث في المبحث السابق تداخل المصطلحين وعدم تميز النحويّين بينهما تميزا صارما في الممارسة العلميّة وفي المستوى النظريّ. وهذا يستدعي أهمّيّة صياغة تمييز منهجيّ يجلي التداخل بينهما، ويعيد تبويب أقسام الصرف العربيّ. وسوف نستثمر لأجل هذا معطيات ومبادئ لسانيّة كونيّة أتاح لنا تأخرّنا الزمنيّ الاطّلاع عليها والإفادة منها.

ونذكّر هنا بأنّ مفهوم المقولة قد استعمل بمضامين مختلفة في الدرس اللسانيّ غير المفهوم الذي سنعتمده، كما في استعمال صلاح الدين الشريف.

4.1. تطبيق مفهوم المقولة:

يتلخّص مفهوم المقولة اللغويّة الذي سنعتمده فيما يأتي:

- الوحدات المكونة للمقولة هي علامات لغويّة. (التحام دالّ بمدلول).
- تتشكّل المقولة في اللغة العربيّة من متقابلين فأكثر تأتلف مع الاسم أو الفعل.
- تتّصف المقولة بأنّها: ملزمة ومطردة يختار منها المتكلّم ضرورة، ومتعاقبة؛ أي لا يجتمع مثلان منها في كلمة واحدة (المجدوب، 2019).

وكي نوضّح هذا المفهوم نطبّقه على مصطلحي التصريف والاشتقاق:

4.2. قسم التصريف:

وهو ما اعتمد على مفهوم المقولة، وذلك على النحو الآتي: التصريف ما تكون من متقابلين ملزمين متعاقبين أو أكثر، مؤتلف مع الاسم أو الفعل.

فهي تقوم على عناصر يتعاقب بعضها على بعض في علاقات جدوليّة، كمقولة التعريف والتنكير للاسم، ومقولة الإفراد والتثنية والجمع، ومقولة التذكير والتأنيث، ومقولة التصغير، ومقولة التفضيل، ومقولة الإعراب. إذ يمتنع على المتكلّم استعمال اسم في كلامه دون اختيار عدده أو جنسه أو إعرابه. ويمتنع كذلك أن يجتمع مثلان، بل لا بدّ أن يتعاقبا، فإذا وجد أحدهما زال الآخر، فلا يصحّ تكرار التعريف أو الرفع أو التعيين أو التصغير أو التفضيل.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى الفعل، ومن مقولاته: البناء والإعراب، والحضور والغيبة، والإشاريّة وعدمها، والواقع وغير الواقع، والانقضاء وعدم الانقضاء، والتأكيد وعدمه، والبناء للمجهول.

4.3. قسم الاشتقاق:

لا يقوم الاشتقاق على مفهوم المقولة، بعكس التصريف، فهو لا يقوم على متقابلين ملزمين متعاقبين. بل للمتكلّم أن يستغني عن صيغة اشتقاق ويعوضها بمفردة معجميّة لها نفس المعنى، (ليست ملزمة). فهو يقوم على علاقة جدوليّة لكنّها تقوم على الشبه وليست مقيّدة بجدول محدّد العناصر. فكلمة، مأخذ، يمكن أن تستبدلّ بملحظ، وإذا أدخلت عليها مقولة العدد فقلت: مأخذين أو مآخذ تحوّر معناها دون أن يتغيّر.

نلاحظ أنّنا نستطيع أن نستغني عن الدلالة الاشتقاقيّة بصيغ معجميّة أو مرادفات أو أي وسائل لتوضيح المعنى، فمثلا يمكن أن نستغني عن صيغة (أمهله) بمرادفها المعجميّ أعطاه مهلة، ومن أمثلة ذلك ما نجده في أغلب الأفعال المزيدة حيث يمكن أن يعبّر عن مدلولها بمرادفها المعجميّ، نحو:

أفمهته = جعلته يفهم

تضاربا= ضرب أحدهما الآخر

انتحر= قتل نفسه

اشتوى= شوى لنفسه

استمرأه= وجده مرئيا.

تمسكن= ظهر مسكينا

وكذلك يمكن أن تجتمع مقولتان صرفيّتان على مفردة معجميّة مشتقة مثل الجنس والعدد: (سائح- سائحتان)

إذن من خصائص مقولة الاشتقاق أنّها تتسلّط على الوحدة المعجميّة وتحوّر مضمونها الدلاليّ. ويمكن أن تجتمع مقولتان أو أكثر على تحوير وحدة معجميّة، ولا تغيّرها إلى وحدة معجميّة جديدة.

ويمكن أن نخلص باعتماد مفهوم المقولة في إعادة تبويب أقسام الصرف العربيّ إلى صياغة الفرضيّة الآتية:

الصرف هو كلّ تغير في البنية أحدث تغييرا في المعنى، وينحصر في قسمين هما: التصريف والاشتقاق، ويُميز بينهما باعتماد مفهوم المقولة.

يشمل هذا التقسيم الصرف بالمفهوم الأوسع الذي لا يستثني إعراب المضارع والاسم المضاف إلى العدد والجنس. وسنستثمر هنا التفسير السابق في التراث القائل: إنّ التغييرات التي تحدث في بنية الكلمة ولا تؤدّي إلى تغيير في المعنى هي أحكام عارضة في الصرف وليست التصريف. وبناء عليه لا يدخل تغيير البنية في الصرف إلّا ما أحدث تغييرا في المعنى.

بهذا المفهوم وتطبيقه على دلالة التصريف والاشتقاق نستطيع التمييز بين المصطلحين وندفع التداخل بينهما الذي رأيناه عند النحويّين، ونستطيع كذلك إعادة تبويب أقسام الصرف العربيّ. وذلك أنّ الصرف يتضمّن كلّ تغيير في البنية يؤدّي إلى تغيير في المعنى، وينحصر في قسمين فقط هما: التصريف، وهو تحويل الكلمة على خلاف ما كانت عليه في الصيغة، والاشتقاق: وهو توليد كلمة من كلمة أخرى. وأمّا ما حدث في البنية ولم يؤثّر في المعنى فهو يندرج في مبحث الأصوات.

5. الخاتمة

كشفت هذه الدراسة مفهوم الصرف في ضوء تطوّر اللسانيات، وأبانت دلالة التصريف والاشتقاق عند النحويّين، وقيمة استثمار مفهوم المقولة في إعادة ضبط المصطلحين. وينبغي التنبيه هنا إلى أنّ اكتشاف المبادئ اللسانيّة في التراث لا يعني القول بالتطابق التامّ أو القصد إلى بيان السبق، أو أنّ هذه المبادئ منتظمة وفق نظريّة أو منوال عامّ، أو جاءت مصرّحا بها في موضع واحد، بل إنّنا قد نعثر عليها متفرّقة في مواضع مختلفة، أو غير منظمة تحت نظريّة أو منوال واحد.

ويمكن أن نلخّص أبرز نتائج الدراسة فيما يأتي:

- بدأت جذور التمييز بين التصريف والاشتقاق في اللسانيات في مرحلة النحو المقارن، ووقفت وراء تبلور المقابلة بين المصطلحين روافد متعدّد أبرزها ثلاثة وهي:
  - انضمام ألسنة كثيرة إلى الدرس اللسانيّ واكتشاف ألسنة كثيرة بغير مكوّن صرفيّ مثل الفيتناميّة.
  - دخول الوصف الرياضيّ المنطقيّ للوصف اللسانيّ مع تشومسكي عام 1957.
  - الاهتمام بالمعجم، وظهور المدوّنات الضخمة، والبحث الآلي والترجمة الآليّة. وقد عزّز ذلك وجود التنظيم المنهجيّ للمفاهيم الرياضيّة في البحث المعجميّ واللسانيّ.
- توصّل عدة اتّجاهات لسانيّة إلى أنّ أساس الفصل بين الاشتقاق والتصريف هو كون التغيير في الاشتقاق يولّد وحدة معجميّة جديدة، وأمّا التغيير التصريفي فلا يخلق وحدة معجميّة جديدة، وإنّما يحوّر تحويرا طفيفا لا يغيّر المضمون المعجميّ، ويبقي عليه.
- استعمال مصطلح التصريف في التراث بخمس دلالات منها الاشتقاق، وهي:
  - التنقّل بين أزمنة الفعل؛ الماضي والحاضر والمستقبل.
  - التنقّل في أحوال الكلمة؛ الأسماء والصفات والأفعال.
  - شبه الاشتقاق (التصريف الصناعيّ).
  - الاشتقاق (التصريف العربيّ).
  - التغيير الشكليّ في بنية الكلمة، بصرف النظر عن الصيغة الزمنيّة.

وهذه الدلالات لمصطلح التصريف كلّها تغييرات تؤدّي إلى تغير المعنى وتولّد وحدة معجميّة جديدة، ما عدا الدلالة الخامسة، فهي تغييرات صوتيّة في المستوى الشكليّ (الدالّ).

- رغم تداخل دلالة المصطلحين في المستويين النظريّ والعمليّ، وتسمية التصريف اشتقاقا والاشتقاق تصريفا، فإنّ النحويّين ميّزوا بين نوعين من الاشتقاق، هما الاشتقاق الميتالغويّ الذي يختصّ بدارس اللغة، وليس له أثر في نشاط المتكلّم اللغويّ، والاشتقاق الذي يحتذي فيه المتعلّم ما نطقت به العرب.وعي بعض النحويّين بهذا التداخل في بعض الاستعمالات، واقرارهم بصعوبة الفصل بينهما. ووعيهم بالفصل بين تغييرات البنية التي تؤدّي إلى تغير المعنى وبين التغييرات الشكليّة.وجود عدة محاولات متفرّقة لضبط التداخل بين المصطلحين، وهي ضوابط تعتمد على:
  - طبيعة العلاقة بينهما وبين اللغة والنحو.
  - الممارسة والتطبيق العمليّ في استكشاف الصيغ المشتقّة.
  - العلاقة بين اللغة الواصفة واللغة الموصوفة.
  - تطبيق مبدأ الأصل والفرع.

وهذه الضوابط لم تدفع في الواقع التداخل بين المصطلحين.

- أدّى اعتماد مفهوم المقولة إلى صياغة تميز منهجيّ دفع التداخل بين المصطلحين، يتلخّص في أنّ التصريف يعتمد على مفهوم المقولة، وهو ما تكوّن من متقابلين متعاقبين أو أكثر مؤتلف مع الاسم أو الفعل. وأمّا الاشتقاق فهو على خلاف ذلك، فلا يشترط فيه تعاقب عنصرين أو أكثر، بل يمكن أن تستبدلّ وحدة معجميّة بأخرى، ويمكن أن تجتمع مقولتان صرفيّتان في وحدة معجميّة واحدة.
- انحصار مباحث الصرف العربيّ في قسمين، هما التصريف والاشتقاق. وكلّ هذه المباحث قد حدثت فيها تغييرات في البنية أدّت إلى تغيير المعنى. وأمّا التغييرات الشكليّة التي لا تؤثّر في المعنى، كالإعلال والإبدال والإدغام، فهي أحكام صوتيّة عارضة في التصريف وليست هي التصريف نفسه.

وتوصي الدراسة بإجراء دراسات معمّقة حول مفهوم المقولة في اللسانيات العربية، واستثماره في تحليل الظواهر اللغوية الأخرى مثل: التراكيب النحوية، والدلالة المعجمية، والتطور اللغوي، والإفادة من ذلك في المناهج الدراسية لتعليم اللغة العربية، ودمج مفهوم المقولة في تدريس التصريف والاشتقاق، مما يُساعد الطلاب على استيعاب هذه المفاهيم بدقة.

نبذة عن المؤلف

إبراهيم سليمان اللاحم

قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلّيّة اللغات والعلوم الإنسانيّة، جامعة القصيم، بريدة، المملكة العربيّة السعوديّة، 00966555499330, islahm@qu.edu.sa .

د. اللاحم، دكتوراه (جامعة الملك سعود)، سعوديّ، أستاذ مشارك، عميد كلّيّة اللغات والعلوم الإنسانيّة، رئيس قسم اللغة العربيّة وآدابها سابقا، نشر مقالات مختلفة في أكثر من مجلّة من المجلّات العربيّة، شارك بأوراق بحثيّة في مؤتمرات عدّة؛ منها مؤتمرات في السعوديّة وتونس والإمارات. تدور اهتماماته البحثية حول التيّارات اللسانيّة الحديثة والمعاصرة من اللسانيّات البنيويّة إلى اللسانيّات الإدراكيّة، ومنجزات التفكير اللسانيّ. من أحدث أعماله المنشورة: "الإفادة في النحو العربي في ضوء نظريَّة الملاءمة: مقاربة إدراكية"، "ظروف الجهات الستّ في التفكير النحويّ العربيّ القديم: مقاربة لسانيّة إدراكيّة".

رقم أوركيد (ORCID): 0009-0009-5236-6083

المَراجع

الأدبعي، عبد الغني موسى. (2016). من قضايا المورفولوجيا العربيّة في التصنيف والشكل الوظيفي. *مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية*، **3**(2)، 239–59.

بسندي، خالد بن عبد الكريم. (2008). الصرف والتصريف وتداخل المصطلح. *مجلة جامعة الملك سعود - الآداب*، **20**(2)، 319–86.

بشر، كمال محمد. (1980). *علم اللغة العام*. بيروت: مؤسسة المعارف.

تانيار، لوسيان. ترجمة: البعزاوي، الصحبي. (2012). "مبادئ في علم الإعراب البنيوي" في التعلّق والبناء. في: عز الدين مجدوب (محرر) *إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين*. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة".

تشومسكي، نعوم. ترجمة: عاشور، منصف. (2012). البنية المنطقية في النظرية اللسانية. في: عز الدين مجدوب (محرر) *إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين*. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة".

ابن جنّي، عثمان. (1954). *المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني*. بيروت: دار إحياء التراث القديم.

ابن جنّي، عثمان. تحقيق: تربه جي، ياسر يحيى جمال. (2022). *التصريف الملوكي*. القاهرة: مكتبة دار السلام.

ديكرو، أوزوالد وسشايفر، جان ماري. ترجمة: عياشي، منذر. (2003). *القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

الرماني، علي بن عيسى. (1998). *شرح كتاب سيبويه*. القاهرة: مطبعة التضامن.

رمضان، عبد الله. (2006). *الصيغ الصرفيّة في العربيّة في ضوء علم اللغة المعاصر*. كفر الدوار: مكتبة بستان المعرفة.

زغودة، إسماعيل. (2017). تأثير علم الصرف في الدرس اللساني المعاصر. *مجلة جسور المعرفة*، **3**(9)، 115–22.

ابن السرّاج، محمد بن سهل. تحقيق: الفتلي، عبد الحسين. (1988). *الأصول في النحو*. بيروت: مؤسّسة الرسالة.

سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق: هارون، عبد السلام. (1983). *الكتاب*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

Al-Lahim, I.S. (2024). Altasrif waliashtiqaq fi daw' tatawur mafhum alsarf fi allisaniaati: Gira'at lisaniat jadida 'Morphology and derivation in perspective of the development of the concept's Conjugation in linguistics: A new linguistic reading'. *Scientific Journal of King Faisal University: Humanities and Management Sciences*, **25**(2), 34–40. DOI: 10.37575/h/lng/240023 [in Arabic]

السيرافي، الحسن بن عبد الله. تحقيق: مهدلي، أحمد حسن وعلي، علي سيّد. (2008). *شرح كتاب سيبويه*. بيروت: دار الكتب العلميّة.

الشاطبي، أبو إسحاق. تحقيق: العثيمين، عبد الرحمن بن سليمان، البنا، محمد إبراهيم، الثبيتي، عياد بن عيد، قطامش، عبد المجيد، العايد، سليمان بن إبراهيم و تقي، السيد. (2008). *المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية*. مكّة المكرّمة: معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى.

ابن عصفور، علي بن مؤمن. تحقيق: قباوة، فخر الدين. (1996). الممتع الكبير في التصريف. *بيروت*: مكتبة لبنان.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. تحقيق: هنداوي، عبد الحميد. (2002). *كتاب العين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

لرول، فضيلة. (2022). المورفولوجيا في اللسانيات الحديثة. *مجلة الممارسات اللغوية*، **13**(3)، 116–36.

ماتشوك، إيغور. ترجمة: الشمري، عقيل بن حامد الزماي. (2023). *اللغة من المعنى إلى النص*. بيروت: دار الروافد الثقافية.

مارتيني، أندري. ترجمة: المجدوب، عز الدين. (2012). مبادئ في اللسانيات العامة الفصلان الأول والثاني. في: عز الدين مجدوب (محرر) *إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين*. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة".

ابن مالك، جمال الدين. تحقيق: هريدي، عبد المنعم أحمد. (1982). *شرح الكافية الشافية*. مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى.

المجدوب، عز الدين. (2022). *بحوث معجمية ودلالية بخلفية حاسوبية*. الدمام: مكتبة المتنبي.

المجدوب، عز الدين. (2019). *مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية في ضوء المداخل اللسانيّة*. بريدة: جامعة القصيم.

المرادي، بدر الدين. تحقيق: سليمان، عبد الرحمن علي. (2008). *توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك*. القاهرة: دار الفكر العربي.

مقدادي، سميح أحمد محمد. (2016)، ظاهرة الاشتقاق من الدرس اللغوي العربي إلى اللسانيات: إشكالية المعالجة وزاوية النظر. *مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا (أماراباك)*، **7**(22)، 75–90.

ابن منظور، جمال الدين. (1994). *لسان العرب*. الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر.

هاريس، ز.س. ترجمة: عاشور، منصف. (2012). نظرية في اللغة والإعلام: نحو مقاربة رياضية. في: عز الدين مجدوب (محرر) *إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين*. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة".

هنداوي، حسن. (1989). *مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرن الثالث والرابع*. دمشق: دار القلم.

ابن يعيش، موفّق الدين. تحقيق: قباوة، فخر الدين. (1973). *شرح الملوكي في التصريف*. حلب: المكتبة العربية.

Al-Adbai, A.M. (2016). Min qadaya almurfulujia alerbyt fi altasnif walshakl alwazifi 'Among the issues of Arabic morphology in classification and functional form'. *King Khalid University Journal of Human Sciences,* **3**(2), 239–59. [in Arabic]

Al-Farahidi, A.A. (2002). *Kitab Aleayn* 'Eye Book'. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. [in Arabic]

Al-Majdoub, E. (2019). *Mafahim Dalaliat Walisaniat Liwasf Alearabiat Fi Daw' Almadakhil Allsanyah* 'Semantic and Linguistic Concepts to Describe Arabic in Light of Linguistic Approaches'. Buraidah: Qassim University. [in Arabic]

Al-Majdoub, E. (2022). *Buhuth Muejamiat Wadalaliat Bikhalfiat Hasubiati* 'Lexical and Semantic Research with a Computer Background'. Dammam: Al-Mutanabbi Library. [in Arabic]

Al-Muradi, B. (2008). *Tawdih Almaqasid Walmasalik Bisharh 'Alfiat Aibn Malk* 'Clarifying the Objectives and Paths by Explaining Alfiyyah Ibn Malik'. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi. [in Arabic]

Al-Rummani, A.I. (1998). *Sharh Kitab Sibwyh* 'Explanation of the Book of Sibawayh'. Cairo: Al-Tadamon Press. [in Arabic]

Al-Serafi, A.A. (2008). *Sharh Kitab Sibwih* 'Explanation of the Book of Sibawayh'. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. [in Arabic]

Al-Shatibi, A. (2008). *Almaqasid Alshaafiat Fi Sharh Alkhulasah Alkafiah* 'Al-Maqasid Al-Shifa in Explaining Al-Kholasah Al-Kafiyah'. Mecca: Institute for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage at Umm Al-Qura University. [in Arabic]

Basandi, K.A. (2008). Alsarf waltasrif watadakhul almustalah 'Morphology, inflection, and term overlap'. *King Saud University Journal - Arts,* **20**(2), 319–86. [in Arabic]

Bishr, K.M. (1980). *Ealm Allughat Aleam* 'General Linguistics'. Beirut: Al Maaref Foundation. [in Arabic]

Chomsky, N. (2012). Albinyat almantiqiat fi alnazariat allisaniati 'Logical structure in linguistic theory'. In: E. Majdoub (ed.) *'Iitlalat Ealaa Alnazariaat Allisaniat Waldalaliat Fi Alnisf Althaani Min Alqarn Aleishrin* 'Overviews of Linguistic and Semantic Theories in the Second half of the Twentieth Century'. Tunisia: Tunisian Academy of Sciences, Letters and Arts "House of Wisdom". [in Arabic]

Decroux, O. and Schaefer, J. (2003). *Alqamus Almusueiu Aljadid Lieulum Allisan* 'New Encyclopedic Dictionary of Linguistics'. Casablanca: Arab Cultural Center. [in Arabic]

Harris, Z.S. (2012). Nazariat fi allughat wal'iielami: nahw muqarabat riadiatin 'Theory of language and media: Towards a mathematical approach'. In: E. Majdoub (ed.) *'Iitlalat Ealaa Alnazariaat Allisaniat Waldalaliat Fi Alnisf Althaani Min Alqarn Aleishrin* 'Overviews of Linguistic and Semantic Theories in the Second half of the Twentieth Century'. Tunisia: Tunisian Academy of Sciences, Letters and Arts "House of Wisdom" . [in Arabic]

Hindawi, H. (1989). *Manahij Alsarfiiyn Wamadhahibihim Fi Alqarn Althaalith Walraabiei* 'The Methods and Doctrines of the Morphologists in the Third and Fourth Centuries'. Damascus: Dar Al-Qalam. [in Arabic]

Ibn al-Sarraj, M.S. (1988). *Al'usul Fi Alnahuw* 'Principles in Grammar'. Beirut: Al-Resala Foundation. [in Arabic]

Ibn Asfour, A.M. (1996). *Almumtae Alkabir Fi Altasrif* 'Great Fun in Drainage'. Beirut: Lebanon Library. [in Arabic]

Ibn Jinni, O. (1954). *Almunsif: Shrah Kitab Altasrif Li'abi Euthman Almazni* 'Al-Munsif: Explanation of the Book of Attribution by Abu Uthman al-Mazni'. Beirut: Old Heritage Revival House. [in Arabic]

Ibn Jinni, O. (2022). *Altasrif Almuluki* 'Royal Conjugation'. Cairo: Dar Al Salam Library. [in Arabic]

Ibn Malik, J. (1982). *Sharh Alkafiah Alshaafiah* 'Explanation of Sufficient Healing'. Mecca: Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage at the College of Sharia and Islamic Studies at Umm Al-Qura University. [in Arabic]

Ibn Manzur, J. (1994). *Lisan Alearb* 'Arabes Tong'. 3rd Edition. Beirut: Dar Sader. [in Arabic]

Ibn Yaish, M. (1973). *Sharh Almulukii Fi Altasrif* 'Explanation of Al-Maluki in Al-Tasrif'. Aleppo: Arab Library. [in Arabic]

Lirul, F. (2022). Almurfulujya fi allisaniaat alhadithat 'Morphology in modern linguistics'. *Journal of Linguistic Practices,* **13**(3), 116-136. [in Arabic]

Machuk, I. (2023). *Allughat Min Almaenaa 'iilaa Alnas* 'Language from Meaning to Text'. Beirut: Al Rawafed Cultural House. [in Arabic]

Martini, A. (2012). Mabadi fi allisaniaat aleamat alfaslan al'awal walthaani 'Principles in general linguistics, chapters one and two'. In: E. Majdoub (ed.) *'Iitlalat Ealaa Alnazariaat Allisaniat Waldalaliat Fi Alnisf Althaani Min Alqarn Aleishrin* 'Overviews of Linguistic and Semantic Theories in the Second half of the Twentieth Century'. Tunisia: Tunisian Academy of Sciences, Letters and Arts "House of Wisdom". [in Arabic]

Miqdadi, S.A.M. (2016). Zahirat aliashtiqaq min aldars allughawii alearabii 'iilaa allisaniaati: 'iishkaliat almuealajat wazawiat alnazar 'The phenomenon of derivation from the Arabic linguistic lesson to linguistics: The problem of treatment and the angle of view'. *Journal of the American Arab Academy of Science and Technology (AMARAPAC),* **7**(22), 75–90. [in Arabic]

Ramadan, A. (2006). *Alsiyagh Alsrfyt Fi Alerbyt Fi Daw' Eilm Allughat Almueasir* 'Morphological Forms in Arabic in Light of Contemporary Linguistics'. Kafr Al-Dawwar: Bustan Al-Maarifa Library. [in Arabic]

Sibawayh, A.O. (1983). *Alkitabi* 'The Book'. Cairo: Al-Khanji Library. [in Arabic]

Tanier, L. (2012). "Mabadi fi eilm al'iierab albinywi" fi altellq walbana'i "Principles in structural parsing" in attachment and construction'. In: E. Majdoub (ed.) *'Iitlalat Ealaa Alnazariaat Allisaniat Waldalaliat Fi Alnisf Althaani Min Alqarn Aleishrin* 'Overviews of Linguistic and Semantic Theories in the Second half of the Twentieth Century'. Tunisia: Tunisian Academy of Sciences, Letters and Arts "House of Wisdom". [in Arabic]

Zaghuda, I. (2017). Tathir eilm alsarf fi aldars allisanii almueasir 'The impact of morphology on contemporary linguistic lessons'. *Knowledge Bridges Journal,* **3**(9), 115–22. [in Arabic]